

نماذج من الرقي الأخلاقي

(١٢)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم





مواقف في الورع والعفة

(٢)





من مواقف طاووس بن كيسان رحمه الله

ممن اشتهروا بالعفة والورع
طاووس بن كيسان اليماني رحمه الله
تعالى، ومن أخباره في ذلك ما ذكره
الحافظ ابن كثير من خبر النعمان بن
الزبير الصنعاني: أن الأمير محمد بن
يوسف - أبو أيوب بن يحيى - بعث
إلى طاووس بسبعمائة دينار، وقال
للمرسول إن أخذها منك فإن الأمير



سيكسوك ويحسن إليك.

قال: فخرج بها حتى قدم على

طاووس «الجند»^(١)، فقال: يا أبا عبد

الرحمن نفقة بعث بها الأمير إليك،

فقال: مالي بها من حاجة، فأرادته على

أخذها بكل طريق فأبى أن يقبلها،

فغفل طاووس فرمى بها الرجل من

(١) يعني قدم على طاووس في بلاده «الجند» في اليمن.



كُؤة في البيت ثم ذهب راجعًا إلى
الأمير وقال: قد أخذها فمكثوا حيناً،
ثم بلغهم عن طاووس مايكرهون -
أو شيء يكرهونه - فقالوا: ابعثوا إليه
فليبعث إلينا بهالنا، فجاءه الرسول
فقال: المال الذي بعثه إليك الأمير
رُدَّه إلينا، فقال: ما قبضت منه شيئاً،
فرجع الرسول إليهم فأخبرهم،
فعرفوا أنه صادق، فقالوا: انظروا
الذي ذهب بها إليه، فأرسلوه



إليه ،فجاءه فقال: المال الذي جئتكَ
به يا أبا عبد الرحمن، هل قبضت منه
شيئاً؟ قال: لا قال: فقام إلى المكان
الذي رمى به فوجدها كما هي وقد
بنت عليها العنكبوت فأخذها
فذهب بها إليهم^(١).
وهكذا تحلَّى هذا العالم الجليل

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٤٦ - ٢٤٧.



بالعفة والورع، فأبى أن يأخذ من
ذلك المال الذي أراد به ذلك الأمير
شراءه ليكسب ولاءه له، وإذا كسب
ذلك فإنه سيظفر بولاء الكثيرين ممن
يحبون ذلك العالم ويحترمونه، ولكن
ذلك الأمير رأى أن موقف طاووس
لم يتغير، وأنه مازال يقف منه موقف
الناقد المصلح، فأراد أن يخرجه
بطلب ذلك المال، وهو الذي يعرف
جيدا أن الإمام طاووس لن يدخر



ذلك المال، وإنما سيقسمه على
الفقراء، فكان الأمر على ما جاء في
هذا الخبر ورجع الحرج على ذلك
الأمير الذي انكشف قصده من
إهداء ذلك المال، وهكذا يضرب
علماء الإسلام أمثلة رائعة في الترفع
عن الدنيا والسمو نحو رضوان الله
جل وعلا ونعيم الآخرة.



من مواقف محمد بن واسع الأزدي
رحمه الله

ذكر الإمام الذهبي عن ابن
شاذب قال: قسم أمير البصرة على
قرائها، فبعث إلى مالك بن دينار
فأخذ، فقال له ابن واسع: قَبِلْتَ
جوائزهم؟ قال: سل جلسائي، قالوا:
يا أبا بكر اشترى بها رقيقاً فأعتقهم ،
قال: أنشدك الله أقلبك الساعة على
ماكان عليه؟ قال: اللهم لا، إنما مالكُ



حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن
واسع^(١).

فهذا مثال رائع لدقة
الإحساس والغيرة على الإيمان، لأن
الإيمان ينمو في القلب شيئاً فشيئاً
بالتقوى في الفكر والعمل، وإن من
أهم ما يحرص عليه أطباء القلوب أن

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ١٢٠.

يظل مستوى الإيمان في القلب في علو
وترقي، وإن مما يحذرون منه أن
ينخفض مستوى الإيمان في القلب،
وإنما ينخفض بارتكاب شيء من
المخالفات، أو ترك بعض الطاعات،
وقد تكون المخالفة معتادة عند عامة
الناس، لكنها تكون ذات أهمية عند
الخلّص من أهل التقوى، وهم
يشعرون بهذا الانخفاض إذا خالط
إحساسهم شيء من القلق والضجر،



لأن شفافية الإيمان الخالص لا تقبل
أن يعانقها شيء من الكدر أو الغبش،
فلذلك لما قال محمد بن واسع لملك
ابن دينار: « أنشدك الله أقلبك
الساعة على ما كان عليه؟ أجابه
بقوله: «اللهم لا».



من مواقف إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة

من أخبار الورع عن الجاه
والسمعة ما ذكره الحافظ ابن كثير عن
المدائني قال: بعث عمر بن عبد
العزیز عدی بن أرطاة على البصرة
نائباً، وأمره أن يجمع بين إياس [يعني
ابن معاوية] والقاسم بن ربيعة
الجوشني، فأيهما كان أفقه فليولّه
القضاء، فقال إياس - وهو يريد أن



لايتولى: أيها الرجل سل فقيهي
البصرة: الحسن وابن سيرين ، وكان
إياس لا يأتيهما ، فعرف القاسم أنه إن
سألهما أشارا به - يعني بالقاسم -
لأنه كان يأتيهما ، فقال القاسم
لعدي: والله الذي لا إله إلا هو إن
إياساً أفضل مني وأفقه مني وأعلم
بالقضاء ، فإن كنت صادقاً فوله وإن
كنت كاذباً فما ينبغي أن تُؤلّي كاذباً
القضاء ، فقال إياس: هذا رجل



أوقف على شفير جهنم فافتدى منها
ييمين كاذبة ، يستغفر الله ، فقال
عدي: أما إذا فطنت إلى هذا فقد
ولَّيتك القضاء ^(١) .

فهذا مثل في الورع يقدمه هذان
العالمان الجليلان، وقد غلبا - لشدة
خوفهما من الله تعالى - جانب

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣٥٠ .

السلامة من المآثم على جانب
اكتساب العمل الصالح ، فإن
الولايات ومنها القضاء تُعدُّ من
الأعمال الصالحة لمن وُفق فيها إلى
العدل والسلامة من الزلل ، ولكنها
مزلة قدم وباب من أبواب الفتنة لمن
لم يقدر على العدل والوقاية من المآثم .
وقد ظهر في هذا الخبر مقدرة
إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة
على التخلص من ذلك الأمر لولا



ماؤفق إليه أمير البصرة عدي بن
أرطاة من إزام إياس بالقضاء.



**من مواقف الإمام أحمد بن حنبل
رحمه الله**

من أخباره في الورع ماروي
عن سليمان الشاذكوني قال في الشاء
على الإمام أحمد بن حنبل: لقد
حضرت من ورعه شيئاً بمكة: أنه
أرهن سطلاً عند فاميٍّ^(١) فأخذ منه

(١) أي بائع الفوم أي الحمص .



شيئاً لِيُقَوِّتَهُ فجاء فأعطاه فِكَاكِهِ،
فأخرج إليه سطلين، فقال: انظر أيهما
سطلك؟ فقال: لا أدري أنت في حل
منه وما أعطيتك ، ولم يأخذه ، قال
الفامي: والله إنه لسطله ، وإنما أردت
أن أمتحنه فيه ^(١) .

فهذا مثال جيد في الورع وترك

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٠٣ .

الشبهات ، فحينما اشتبه الحلال
بالحرام عند الإمام أحمد ترك الحلال
خشية الوقوع في الحرام ، وكان من
شدة ورعه أنه ترك السطلين حالاً ولم
ينتظر حتى يبحث الفامي ويتأكد من
سطله خشية أن يعيّن له أحدهما وقد
يكون غيره.

ومن ذلك ما أخرجه القاضي
محمد بن أبي يعلى من حديث عبد الله
ابن الإمام أحمد بن حنبل قال: مرّت



بنا جنازة ونحن قعود على مسجد
أبي، فقال أبي: ما كانت صُنْعُهُ
صاحب الجنازة؟ قالوا: كان يبيع على
الطريق ، قال: في فئائه أو في فناء
غيره؟ قالوا: في فناء غيره ، قال: عَزَّ
عليَّ عَزَّ عليّ ، إن كان فناء يتيماً أو
غيره فقد ذهبت أيامه عَطَلاً ، ثم
قال: قم نصلي عليه عسى الله أن
يكفِّر عنه سيئاته ، قال: فكَبَّرَ عليه
أربع تكبيرات ، ثم حملناه إلى قبره



ودفناه ، ونام أبي تلك الليلة وهو
مُغْتَمٌّ به ، فإذا نحن بامرأة من بعض
جيراننا جاءت إلى أبي ، فقالت: يا أبا
عبد الله ألا أبشرك بشارة؟ فقال لها:
قولي يا مباركة ، أنت امرأة صالحة ،
قالت: نعمت البارحة فرأيت صاحب
الجنّاة الذي مررت معه وهو يجري
في الجنة جرّياً وعليه حلّتان
خضراوان ، فقلت له: ما فعل الله
بك؟ قال: غضبان عليّ وقت خروج



روحي ، فصلّي علي أحمد بن حنبل
فغفر ذنوبي ومتّعني بالجنة^(١)

في هذا الخبر مثل من إحساس
الإمام أحمد الدقيق نحو الحلال
والحرام والشبهات ، فإنه لما علم أن
صاحب الجنازة يستعمل الطريق
العام للتجارة خشي أن يكون اعتدى

(١) طبقات الحنابلة ٢ / ٥٨ .



على ما يخص بعض الجيران من
المنافع التي تتبع البيوت فاهتمَّ
بالدعاء له ، وقد أفادت تلك الرؤيا
الصالحة بأن الله تعالى غفر لذلك
التاجر بسبب دعاء الإمام أحمد له .

وهذا الذي لاحظته الإمام أحمد
يغفل عنه بعض المسلمين ، حيث
ينافسون جيرانهم على المنافع التي
تتبع دورهم ، وهم أولى بها من
غيرهم ، وبهذا يقع هؤلاء في آثام لم



يحسبوا لها حساباً.

ويمكن التمثيل لذلك فيما
يتعلق بهذا العصر بالاستفادة من
ظل البيوت في إيقاف السيارات
فصاحب البيت أولى من غيره
بذلك.



من مواقف ابن إدريس وعيسى بن يونس

رحمهما الله

لقد كان أغلب العلماء
يحتسبون الأجر عند الله تعالى على
نشر السنة ولا يأخذون أجرة من
طلاب العلم ولا من غيرهم مقابل
ذلك ، ومن أخبارهم في ذلك ما ذكره
الإمام الذهبي عن مسروق بن عبد
الرحمن الكندي قال: حدثني محمد
ابن المنذر الكندي جازاً لعبد الله بن



إدريس قال: حج الرشيد فدخل
الكوفة فلم يتخلف إلا ابن إدريس
وعيسى بن يونس، فبعث إليهما
الأمين والمأمون ، فحدثهما ابن
إدريس بمائة حديث ، فقال المأمون:
يا عم أتأذن لي أن أعيدها حفظاً؟
قال: افعل ، فأعادها ، فعجب من
حفظه ، ومضيا إلى عيسى فحدثهما ،
فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم
فأبى ، وقال: ولا شربة ماء على



حديث رسول الله ﷺ^(١) .

فهذا مثل من ورع العلماء
وعفتهم حيث كانوا لا يأخذون أجره
ولامكافأة على تعليم السنة النبوية ،
فقد رد هذا العالم عيسى بن يونس بن
أبي إسحاق السبيعي مكافأة المأمون
مع أنها مبلغ كبير تستشرف له

(١) سيرة أعلام النبلاء ١٠/٢٧٦ .

النفوس ، والغالب على العلماء أنهم
فقراء ، ومع ذلك قال هذا العالم
الجليل ، «ولاشربة ماء على حديث
رسول الله ﷺ» .

أما عبد الله بن إدريس الأودي
فإن المأمون لم يتجرأ على منحه شيئاً
من المال لما اشتهر عنه من عدم أخذ
منح السلطان المعتادة فضلاً عن أن
يكون مقابل تعليم السنة النبوية .
إن هذين العالمين وأمثالهما



أصحابُ نفوس كبيرة وطموحات
عالية ، فهؤلاء العلماء الربانيون
ينظرون إلى الأعلى.. إلى الحياة
الآخرة ونعيمها الدائم الذي لا يدانيه
أي نعيم ، ومن طمح بنظره إلى
الأعلى فإنه لا يتصور منه أن ينحط
ببصره إلى الأسفل ، فلذلك سهل
عليهم اتقاء الشبهات والزهد في
الدنيا.

ومما روي عن عيسى بن يونس



السبيعي من التعفف عن أخذ شيء
من المال على تعليم السنة النبوية ما
ذكره الإمام الذهبي من خبر أبي بلال
الأشعري عن جعفر البرمكي قال:
ما رأينا في القُرَّاء مثل عيسى بن
يونس ، أرسلنا إليه ، فأتانا بالرقّة ،
فاعتل قبل أن يرجع. فقلتُ له: يا أبا
عمرو ، قد أمرنا لك بعشرة آلاف.
فقال: هيه. قلت: خمسون ألفا. قال:
لا حاجة لي فيها. فقلت: ولم؟ والله



لأَهْنِيَنَّكَهَا ، هي والله مئة ألف ، قال :
لا والله ، لا يتحدثُّ أهلُ العلم أني
أكلتُ للسنةِ ثمنًا ، ألا كان هذا قبلَ
أن تُرسلوا إليَّ ، فأما على الحديث ،
فلا ، ولا شربة ماء ، ولا إهليلجة ^{(١)(٢)} .

(١) الإهليلج نوع من النبات .

(٢) سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٩٣ .

من مواقف محمد بن سعيد الكوفي
رحمه الله

من المواقف الجيدة في الورع
ما جرى من محمد بن سعيد الكوفي
المعروف بـ « عقدة » وذلك فيما رواه
الخطيب البغدادي بإسناده عن أبي
علي النقار قال: سقطت من عقدة
دنانير على باب دار أبي ذر الخزاز،
فجاء بنخال ليطلبها ، قال عقدة:
فوجدتها، ثم فكرت فقلت: ليس في



الدنيا غير دنانيرك، فقلت للنخال:
هي في ذمتك، ومضيت وتركته^(١).
فهذا مثل في التورع عن
الشبهات حيث اشتبه عليه الأمر،
فخشي أن لا تكون تلك الدنانير هي
التي فقدوها ، فتركها مع أن الذي
يغلب على الظن أنها هي لأنه يعرف

(١) تاريخ بغداد ١٥ / ٥ .

الموضع الذي فقدها فيه.

قال أبو علي النقار: وكان -
يعني محمد بن سعيد الكوفي المعروف
بعقدة - يؤدب ابن هشام الخزاز -
فلما حذق الصبي وتعلم وجه إليه
هشام دنائير صالحة فردها، فظن
هشام أن «عقدة» استقلها فأضعفها
له ، فقال عقدة: مارددتها استقلالاً لها
ولكن سألني الصبي أن أعلمه
القرآن فاختلط تعليم النحو بتعليم



القرآن، فلا أستحل أن آخذ منه شيئاً
ولو دفع إليّ الدنيا^(١)

فهذا مثل من ورع هذا العالم
الفاضل حيث كان يأخذ أجراً على
تعليم اللغة، فلما اختلطت دروسها
بدروس القرآن ترك الأجرة كلها ،
وكان العلماء الأتقياء يتورعون عن

(١) تاريخ بغداد ٥ / ١٥ .



أخذ الأجرة على تعليم القرآن
والسنة.



من مواقف الإمام البخاري رحمه الله
من أمثلة ورع الإمام البخاري
ماذكره الحافظ الذهبي من أن بعض
أصحابه قال له: يقولون إنك تناولت
فلانا، قال: سبحان الله ماذكرت
أحدًا بسوء إلا أن أكون ساهيا،
ومايخرج اسم فلان من صحيفتي
يوم القيامة^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤٥.



فهذا مثل من ورع الإمام
البخاري وعفة لسانه ، فما أجمل هذه
السيرة الحميدة التي لا يذكر فيها
صاحبها أنه ذكر أحدا بسوء في يوم
من الأيام ، وإن من استطاع أن
يملك لسانه فإنه أقدر على حفظ
جوارحه الأخرى.

ولقد كان من شدة ورعه أنه
كان يقول: ما أردت أن أتكلم بكلام
فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله



تعالى والثناء عليه ^(١).

وإن عبدا لا يتكلم بكلام الدنيا
إلا بعد حمد الله تعالى والثناء عليه
جدير بأن يعصمه الله تعالى من
الزلل، فلن يُحَيِّب الله تعالى رجلا لجأ
إليه وقدم رضاه.
ومن أخبار الإمام البخاري في

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤٥.



الخشية مذكروه محمد بن أبي حاتم
قال: وسمعتَه يقول لأبي معشر
الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر،
فقال: من أي شيء؟ قال: رَوَيْتَ يَوْمًا
حديثًا فنظرت إليك وقد أُعْجِبْتَ به
وأنت تحرك رأسك ويدك فتبسمتُ
من ذلك ، قال: أنت في حلٍّ رحمك
الله يا أبا عبد الله ^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٤٤ .



فهذا مثل من الإحساس
الدقيق بالمخالفات وإن صغُرَتْ
واستصحب الفكر لها وإن طال
أمدّها، فإن أصحاب القلوب
المعمورة بالإيمان واليقين لا ينسون
الزلات وإن قلَّ حجمها وماتزال
مائلة في أذهانهم وهم في حال من
الندم حتى يتأكدوا من زوال آثارها،
وحيث إن المخالفات المتعلقة بحقوق
الناس لا بد لكمال التوبة منها من



عفو أصحاب الحقوق فإن أبا عبد الله
البخاري قد اعتذر لأبي معشر
الضرير من تلك الابتسامة التي وقرَّ
في نفسه التفكير فيها وخشي من
مَغَبَّتْها يوم الحساب.

ومن ذلك مذكره الحافظ
البغدادي من خبر أبي سعيد بكر بن
منير قال: كان حُمل إلى محمد بن
إسماعيل - يعني الإمام البخاري -
بضاعة أنفذها إليه فلان ، فاجتمع



بعض التجار إليه بالعشية فطلبوها
منه بربح خمسة آلاف درهم ، فقال
لهم: انصرفوا الليلة ، فجاءه من الغد
تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة
بربح عشرة آلاف درهم فردهم
وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إلى
الذين طلبوا أمس بما طلبوا أول مرة ،
فدفعها إليهم بما طلبوا - يعني الذين
طلبوا أول مرة- ودفع إليهم بربح
خمس ألف درهم وقال: لا أحب أن



أنقض نيتي^(١) .

فهذا مثال عال في العفة
والقناعة من الإمام البخاري فقد
حاسب نفسه على نية البيع على
التجار الأولين الذين ساموا البضاعة
بنصف ما ساهمها به الآخرون ، مع أنه
لم يتم بينهم عقد ولا مجرد وعد
بذلك.

(١) تاريخ بغداد ١١/٢ - ١٢.



وهذا الخلق الكريم من لزوم
ما لا يلزم ابتغاء وجه الله تعالى دليل
على قوة الإيمان وعمق اليقين وغلبة
التفكير بالآخرة على التفكير بالدنيا.



**من مواقف القاضي محمد بن المظفر
رحمه الله**

من أخبار العلماء في مجال الورع
والعفة ما ذُكر عن الإمام أبي بكر
محمد بن المظفر الحموي أنه لما تولّى
القضاء لم يأخذ على القضاء رزقا ،
ولا غَيْرَ مأكله ولا ملبسه، وكان
يسوّي بين الناس، فانقلب عليه
الكبراء، وكان نَزْها ورعا على طريقة
السلف، له بيت يؤجره كل شهر



بدينار ونصف وكان يقتات منه، فلما
ولي القضاء جاء إنسان فدفع فيه
أربعة دنائير فأبى، وقال لا أُعْطِرُ
ساكني، وقد ارتبت بك ، هلاً كانت
هذه الزيادة من قبل القضاء؟^(١)

فهذا مثل من الورع والثبات
على الحق وإن غضب من ذلك كبراء

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٨٦.

الناس في عرف أهل الدنيا، فإن هؤلاء الكبراء لا يرضون إلا عن القضاة الذين يحققون لهم شيئاً من مصالحهم الدنيوية، ويغضون الطرف عن الأمور التي تؤثر على دنياهم.

وهذا من الأمور التي جعلت بعض العلماء يفرون من تولي القضاء، لأنهم إن عدلوا تمام العدل وساووا بين الناس غضب منهم الكبراء وناصبوهم العداة ، ولكن



إذا كان القاضي قوي الإيمان راسخ
اليقين كهذا العالم الجليل أبي بكر
محمد الحموي فإن الكبراء يحترمونه
في الأخير ويسلمون للحكم الشرعي
إما عن قناعة وتأثر بموقفه القوي ،
وإما استسلاماً لقوته وثباته.

ولقد تَوَجَّ هذا القاضي الجليل
عمله الكبير في العدل بامتناعه من
أخذ المال الذي يخصص للقضاة من
قَبْل الولاية ، وهذا دليل على عفته



وقناعاته ، وكذلك عدم قبوله الزيادة
في أجرة المسكن الذي يؤجره بعد
تولييه القضاء يدل على ورعه.



من مواقف يونس بن عبيد رحمه الله
من العلماء المشهورين بالورع
الإمام يونس بن عبيد العبدي ومن
أخباره في الورع والاحتياط في كسب
المال الحلال وتحريمه الشديد في ذلك
ما ذكره الإمام الذهبي عن الأصمعي
عن مؤمل بن إسماعيل قال: جاء
رجل شامي إلى سوق الخزازين،
فقال: عندك مُطْرَف بأربعمئة؟ فقال
يونس بن عبيد: عندنا بمائتين، فنأدى



المنادي: الصلاة ، فانطلق يونس إلى
بني قُشَيْر ليصلي بهم، فجاء وقد باع
ابن أخته المطرف من الشامي
بأربعمائة، فقال: ماهذه الدارهم؟
قال: ثمن ذلك المطرف، فقال: يا عبد
الله هذا المطرف الذي عرضته عليك
بمئتي درهم، فإن شئت فخذهُ وخذ
مائتين وإن شئت فدَعهُ، قال: من
أنت؟ وما اسمك؟ قال: يونس بن
عبيد، قال: فو الله إنا لنكون في نحر



العدو فإذا اشتد الأمر علينا قلنا:
اللهم رب يونس فرِّج عنا، أو شبيهه
هذا.

فقال يونس: سبحان الله
سبحان الله! ^(١)

قال الذهبي: وقال: أمية بن
خالد: جاءت امرأة يونس بن عبيد

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٨٩.



بجبة خَزَّ، فقالت له: اشترِها، قال:
بكم؟ قالت: بخمسمائة ، قال: هي
خير من ذلك ، قالت: بستائة ، قال:
هي خير من ذلك ، فلم يزل حتى
بلغت ألفا.

وكان يشتري الإبريسم من
البصرة فيبعث به إلى وكيله بالسوس،
وكان وكيله يبعث إليه بالخز، فإن
كتب وكيله إليه: إن المتاع عندهم
زائد لم يشتري منهم أبدا حتى يخبرهم



أن وكيهه كتب إليه أن المتاع عندهم
زائد^(١) .

قال: وقال بشر بن الفضل:
جاءت امرأة بمُطْرَف خَزٍّ إلى يونس
ابن عبيد تعرضه عليه ، فقال لها:
بكم؟ قالت: بستين درهما ، فألقاه إلى
جاره فقال: كيف تراه؟ قال: بعشرين

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٢٨٩ .



ومائة، قال: أرى ذاك ثمنه أو نحوا
من ثمنه ، فقال لها: اذهبي فاستأمرني
أهلك في بيعه بخمس وعشرين
ومائة، قالت: أمروني أن أبيع بستانين،
قال: ارجعي فاستأمرهم^(١)
قال: وقال النضر بن شميل:
غلا الحَزَّ في موضع كان إذا غلا

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٩٠.

هناك غلا بالبصرة ، وكان يونس بن
عبيد خزازًا فعلم بذلك فاشترى من
رجل متاعا بثلاثين ألفا ، فلما كان
بعد ذلك قال لصاحبه: هل كنت
علمت أن المتاع غلا بأرض كذا
وكذا؟ قال: لا، لو علمت لم أبيع
قال: هَلُمَّ إِلَيَّ مالي وخذ مالك ، فرد



عليه الثلاثين الألف^(١)

فما الذي دفع يونس بن عبيد
إلى التعفف عن ذلك المال الذي جاء
برضى من أصحابه؟!

إنه شعوره القوي برقابة الله عز
وجل ، وإحساسه بأن أخذ ذلك المال
لا يرضي الله سبحانه ، وإيمانه القوي

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٩٣.



الحي باليوم الآخر ومافيه من
الوقوف بين يدي الله تعالى
لحساب، ثم المصير إلى الثواب
العظيم أو العقاب الأليم.
إن هذا الشعور لايمثله
ولايقاربه أي دافع آخر نحو العفة
والنزاهة ، لأنه يحول بين المرء وهواه
المنحرف ، ويعدّل سلوكه حتى في
الأمر التي لاتزال حبيسة الصدور ،
ولم تظهر للناس وإن يونس بن عبيد



بهذه المعاملة الإسلامية ليُعدُّ قدوة
عالية للتجارة في العفة والورع
واكتساب المال الطيب.

تُرى لو أنه اكتفى برضى
الطرف الآخر ولم يبين له القيمة
الحقيقية للسلعة ولم يبين ما يجري في
السوق من ارتفاع الأسعار هل
سيكون له ذكر طيب إلى قيام
الساعة؟ وهل سيطفر بالأجر العظيم
في الآخرة؟



من مواقف سري السقطي رحمه الله
قال الحافظ ابن كثير في ترجمة
سَري السَّقَطِي: وكان عنده مرة لوز
فساومه رجل على الكُرِّ ^(١) بثلاثة
وستين ديناراً ، ثم ذهب الرجل فإذا
اللوز يساوي: الكُرُّ تسعين ديناراً ،
فقال له [يعني الرجل]: إني أشتري

(١) هو نوع من المكاييل الكبيرة.



منك الكر بتسعين ديناراً ، فقال له :
إني إنما ساومتك بثلاثة وستين ديناراً
وإني لا أبيعك إلا بذلك ، فقال الرجل :
أنا اشتري منك بتسعين ديناراً ،
فقال : لا أبيعك هو إلا بما ساومتك
عليه ، فقال له الرجل : إن من النصيح
أن لا أشتري منك إلا بتسعين ديناراً ،



وذهب فلم يشتر منه ^(١) .

فهذا مثال جيد في العفة
والورع والزهد في الدنيا، ولقد كان
كل من البائع والمشتري يتصفان بهذه
الصفات العالية ، فهما مثالان للتربية
الإسلامية، فلقد كان بإمكان كل
واحد منهما أن يوافق صاحبه فيما

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٥ .



عرض عليه ويأخذ المبلغ الكبير ،
لكنهما كانا يَعدَّان المبلغ الكبير هو في
أن يكسبا حلالاً وإن قلَّ ، وأن يُعفَّا
أنفسهما من كل شبهة حاكت في
النفس.



من مواقف أبي عبد الله السَّعدي

رحمه الله

من ذلك ما ذُكر عن المحدث
القدوة شمس الدين أبي عبد الله
محمد بن عبد الرحيم السعدي
الصالح، فقد حُكي عنه أنه كان
يحضر مكاناً في جبل الصالحية لبعض
شأنه فوجد جرّة مملوءة دنائير،
وكانت زوجته معه تعينه على الحفر،
فاسترجع وطمَّ المكان كما كان أولاً،
وقال لزوجته: هذه فتنة ، ولعل لها



مستحقّين لانعرفهم ، وعاهدها على
أنها لا تُشعر بذلك أحدًا ولا تتعرض
إليه، وكانت صالحة مثله، فتركا ذلك
تورُّعًا مع فقرهما وحاجتهما.
قال اليونيني الذي روى هذه
الحكاية: وهذا غاية الورع والزهد
رحمهما الله تعالى ^(١) .

وهكذا ترك هذا العالم الجليل

(١) طبقات الحنابلة ٤ / ٣٢١ .

وزوجته ذلك المال مع حاجتهما
الشديدة إليه لتذكره احتمال أن يكون
هناك مستحقون لذلك الكنز ، وهذا
دليل على اتصافهما بالزهد في الدنيا
والتورع عن الشبهات ، فما أعظم
هذه النفوس التي ترتفع عن شهواتها
مع شدة الحاجة من أجل بلوغ الهدف
الأعلى للمؤمن في هذه الحياة ، وهو
أن يحصل على رضوان الله تعالى
والنعيم المقيم في الآخرة !!



من أخبار الأمم الماضية

من ذلك ما ذكره وهب بن
منبه اليماني قال: أتى رجل من أفضل
أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس
على أكل لحم الخنزير، فأعظم الناس
مكانه وهاهم أمره، فقال له صاحب
شرطة الملك -سرًا بينه وبينه: أيها
العالم اذبح جديًا مما يحل لك أكله ثم
ادفعه إليّ حتى أصنعه لك على جدته،
فإذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرتُ



به فوُضع بين يديك فتأكل منه
حلالاً، ويرى الملك والناس أنك إنما
أكلت لحم الخنزير، فذبح ذلك العالم
جدياً، ثم دفعه إلى صاحب الشرطة
فصنعه له، وأمر الطباخين إذا أمر
الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم
الخنزير أن يضعوا بين يديه لحم هذا
الجدي، واجتمع الناس لينظروا أمر
هذا العالم فيه، أياكل أم لا! وقالوا:
إن أكل أكلنا وإن امتنع امتنعنا، فجاء



الملك فدعا لهم بلحوم الخنزير
فوضعت بين أيديهم، ووضع بين
يدي العالم لحم ذلك الجدي الحلال
المذكى.

فألهم الله ذلك العالم فألقى في
رُوعه وفكره، فقال: هبْ أني أكلت
لحم الجدي الذي أعلم حلّه أنا فماذا
أصنع بمن لا يعلم؟ والناس إنما
ينتظرون أكلي ليقصدوا بي، وهم
لا يعلمون إلا أني إنما أكلت لحم



الخنزير، فيأكلون اقتداء بي، فأكون
مَنْ يحمل أوزارهم يوم القيامة، لا
أفعل والله وإن قُتلت وحُرِّقت بالنار،
وأبى أن يأكل، فجعل صاحب
الشرطة يغمز إليه ويومئ إليه ويأمره
بأكله، أي إنما هو لحم الجدي، فأبى
أن يأكل، ثم أمره الملك أن يأكل فأبى
فألحوا عليه فأبى، فأمر الملك صاحب
الشرطة بقتله.

فلما ذهبوا به ليقتلوه قال له



صاحب الشرطة: مامنعك أن تأكل
من اللحم الذي ذكَّيتَه أنت ودفعته
إلي؟ أظننت أني أتيتك بغيره وخُتكت
فيما ائتممتني عليه؟ ماكنت لأفعل
والله، فقال له العالم: قد علمت أنه
هو ولكن خفت أن يتأسى الناس بي،
وهم إنما ينتظرون أكلي منه
ولا يعلمون إلا أني إنما أكلت لحم
الخنزير وكذلك كل من أريد على
أكله فيما يأتي من الزمان يقول: قد



أكله فلان، فأكون فتنةً لهم، فُقُتل
رحمه الله ^(١).

فهذا الخبر من روائع الأخبار
التي حفظها وهب ابن منبه اليمني
رحمه الله تعالى عن أهل الكتاب،
ورواية هذا الخبر وأمثاله جائزة لقول
رسول الله ﷺ «حَدِّثُوا عَن بَنِي

(١) البداية والنهاية ٩/ ٤.



إسرائيل ولا حرج»^(١) ولكونه موافقا
لما جاء في شريعة الإسلام.
وقد كان وهب بن منبه من
أوعية العلم، ومن أهل الصلاح
والعبادة، وهو من التابعين.
أما ذلك العالم الرباني الذي
أخبر عنه وهب فقد كانت همته

(١) صحيح البخاري، رقم ٣٤٦١.



متوجهة إلى الآخرة وإلى تذكُّر موقفه
للحساب بين يدي الله تعالى، فقد
تذكَّر أن الله تعالى سائله عن تلك
الأمة التي ستقتدي به وسترتكب
الإثم بسببه، فحالفه توفيق الله تعالى
وهداه عقله السليم إلى أن النجاة من
عذاب الدنيا مطلب رخيص لأنه
لا يعادل ذرة من عذاب الآخرة، وأن
سعادة الدنيا لا تعدل ذرة من سعادة
الآخرة، فقرر الامتناع من أكل ذلك



اللحم مع يقينه بأنه من اللحم
الحلال، حتى لا يفتن الناس في عصره
ومن يأتون بعد ذلك، حيث إنه
سيظهر للناس أنه قد أكل لحم
الخنزير.

وهذا مثل رفيع في الورع
والخشية، وذلك مبني على المحافظة
على استقامة الناس وهدايتهم، وهذا
مطلب مهم في الإسلام.

هذا وإن الورع من أفضل



العبادات كما جاء في قول رسول الله
ﷺ: «يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد
الناس» أخرجه الإمام ابن ماجه،
وقال البوصيري: إسناده حسن ^(١).

(١) سنن ابن ماجه رقم ٤٢١٧ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مواقف في الورع و العفة (٢)
٧	من مواقف طاووس بن كيسان
١٣	من مواقف محمد بن واسع
١٧	من مواقف إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة
٢٢	من مواقف الإمام أحمد بن حنبل
٣٠	من مواقف ابن إدريس وعيسى بن يونس
٣٧	من مواقف محمد بن سعيد الكوفي
٤٢	من مواقف الإمام البخاري



٥١	من مواقف القاضي محمد بن المظفر
٥٦	من مواقف يونس بن عبيد
٦٦	من مواقف سريّ السقطي
٧٠	من مواقف أبي عبد الله السعدي
٧٣	من أخبار الأمم الماضية
٨٣	فهرس الموضوعات